أثر الحياء في حفظ الإيمان وترك المعاصي والذنوب

إخوَةَ الإسلَامِ وَالإيمَانِ:

نحن اليوم مع أثر الحياء في حفظ الإيمان وترك المعاصي والذنوب، من نُزِع منه الحياء -والعياذ بالله- فإنه لا يبالي في أيّ الشرور فعل، وفي أيّ الآثام والمعاصي باشر ووقع، وذلك لانتزاع الحياء من قلبه، وذهابه من نفسه، فهو لا يستحيي من الله -جلّ وعلا- ولا يبالي بالذنوب ولا يبالي بغشيان المعاصي والآثام، فتتنقل به نفسه الردية وقلبه المريض الذي لا يستحيي من الله.

إن من أعظم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، وربّى عليها القرآنُ، وحثّ عليها النبي صلى الله عليه وسلم خلقَ الحياء، وهو خُلُقٌ جامعٌ، ودليلُ إيمانٍ، وعنوانُ صلاحٍ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **إن لكل دينٍ خُلُقًا، وخُلُق الإسلام الحياء** [رواه مالك في الموطأ]

والحياء نوعان: حياءٌ من الله، وهو موضوع حديثنا، وحياءٌ من الناس، وسنخصص له خطبة، فأمّا الحياء من الله، معناه: أن يستحيي العبدُ من ربّه أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره ، أن يستحيي من ربه أن يراه على معصية وهو يعلم أنه يراه ويسمعه، وقد أفرد الرسول صلى الله عليه وسلم الحياء بالذكر فقال: **استَحيوا منَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ: قُلنا: يا رسولَ اللَّهِ إنَّا لنَستحيي والحمد لله، قالَ: ليسَ ذاكَ، ولَكِنَّ الاستحياءَ منَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ أن تحفَظ الرَّأسَ، وما وَعى، وتحفَظَ البَطنَ، وما حوَى ، ولتَذكر الموتَ والبِلى، فمَن فَعلَ ذلِكَ فقدَ استحيا منَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ**[صحيح الترمذي]

لِيَكُنْ هذا الحياءُ مِن اللهِ تعالى لا مِن الخَلقِ؛ لأنَّه سبحانه وتعالى مُطَّلِعٌ على عِبادِه ومُراقِبٌ لهم، لذا ينبغي أن يكون الحياءُ حياءً صادقًا وثابتًا ولازمًا؛ وذلك بِتَركِ الشَّهواتِ والشبهات وجميع المنهيات وتَحمُّلِ الْمَكارِهِ في الطَّاعاتِ، والقيامِ بالفرائضِ، وتركِ المحرَّماتِ، والصَّحابةُ الحاضِرون رضي الله عنهم لما سمعوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسولَ اللهِ ، إنَّا لَنَسْتَحْيي والحمدُ للهِ! قال لهم الرسولُ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم: مُصَحِّحاً للفهم ليس ذاك، أي: ليس هذا الَّذي تَفعَلونه هو حقُّ الحياءِ، ولكنَّ الاستحياءَ مِن اللهِ حقَّ الحياءِ هو أن تَحفَظَ الرَّأسَ بألَّا تَستَعمِلَه في غيرِ طاعةِ اللهِ، وأن لا تستعمل ما وَعى الرأسُ مِن الجوارِحِ الظَّاهرةِ والباطنةِ؛ كالعَينَينِ والأُذنَينِ واللِّسانِ في معصيت الله، بأن تَحْفظَ بَصَرَك عن النَّظَرِ إلى الحرامِ، وتَحْفظَ أُذنَيك عن سَماعِ الحرامِ، وتَحفَظَ لِسانَك عن التَّكلُّمِ بالحرامِ، وتَحْفَظَ البَطنَ عن أكلِ الحرامِ، وما اتَّصَل بالبطنِ مِن الجوارِحِ الظَّاهرةِ والباطنةِ، كالقلبِ واليدَين والرِّجلَين، والفرج فيَحفَظُها عن المعاصي، ويفعَلُ بها الطَّاعاتِ، ثم قال: ولْتَذكُر الموتَ وأنَّه حقٌّ، والبِلَى بعدَ الموتِ، بأن تصيرَ عِظامًا باليةً نخرة رَميمةً مُتفتِّتةً، ثُمَّ قال صلَّى الله عليه وسلَّم: فَمَن فعَل ذلك أي: من جمعَ ما ذُكِر مِن حِفظِ الرَّأسِ والبطنِ والجوارحِ المتَّصِلةِ بهما، وتذَكّر الآخرةَ، وكان مُراقِبًا للهِ تعالى ظاهِرًا وباطِنًا، فلا يَعْصيه جلَّ في عُلاه؛ فقد استَحْيا مِن اللهِ حقَّ الحياءِ ، وفي الحديثِ: الحثُّ على الاتِّصافِ بصفةِ الحياءِ، وعلى حِفظِ الجوارحِ كلِّها، وجاء في الصحيحين أيضا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: **الإيمَانُ بضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبَةً، أو بضعٌ وسبعون شعبةً، أعلاها قولُ لا إله إلا اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان.**

ومن القواعِدِ المقَرَّرةِ والأصولِ المُعتَبَرةِ في عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ أنَّ الإيمانَ مُرَكَّبٌ من شُعَبٍ وأجزاءٍ، وهذه الشُّعَبُ والأجزاءُ التي يتكوَّنُ منها الإيمانُ تتفاوَتُ وتتفاضَلُ، وأهلُ الإيمانِ يتفاضَلون أيضًا بما قام لديهم من إيمانٍ ويقينٍ، وبما يقومون به من البِرِّ والتقوى وموافَقةِ الأَولى، وتَرْكِ ما نهى عنه اللهُ تعالى من المنهِيَّاتِ؛ المحَرَّماتِ منها والمكروهاتِ، وما يتردَّدُ بينهما من المتشابِهاتِ؛ استبراءً للدِّينِ والعِرْضِ، ونَيلًا للدَّرجاتِ العُلا.

عباد الله: الإيمانُ قولٌ وعَملٌ واعتقادٌ، يَزيدُ بالطَّاعةِ ويَنقُص بالمعصيةِ؛ فالمؤمِنُ يَزيدُ إيمانُه بفِعلِ الطَّاعاتِ واجتنابِ المحَرَّماتِ، وبقَدرِ تَفريطِه في الطَّاعاتِ وارتكابِه للمُحَرَّماتِ يَضعُفُ إيمانُه، وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّ **الإيمانَ الكاملَ دَرَجاتٌ**، ويَشتَمِلُ على أعمالٍ وأفعالٍ وأصنافٍ منَ الصَّالحاتِ، يَصِلُ عدَدُها إلى بِضعٍ وسَبعين -أو بِضعٍ وسِتِّين-جُزءًا، والبِضعُ: يَدُلُّ على العددِ من ثَلاثةٍ إلى

تِسعةٍ، والمقصودُ: أنَّ الإيمانَ ذُو خِصالٍ مُتعدِّدةٍ، ويتَكوَّنُ من أعمالٍ كَثيرةٍ، وهي: أعمالُ القُلوبِ: كالتَّوحيدِ، والتَّوكُّلِ، والرَّجاءِ، والخَوفِ، وأعمالُ اللِّسانِ: كالشَّهادتَينِ، والذِّكرِ والدُّعاءِ، وتِلاوةِ القُرآن ، غيرِها. وأعمالُ الجوارحِ: كالصَّلاةِ، والصَّومِ، وإغاثةِ الملهوفِ، ونَصر المظلومِ.

فَمَن أتى بعَملٍ من الصَّالحاتِ فقَد أكمَلَ جُزءًا من إيمانِهِ، وأخبر أنَّ أعلى دَرَجاتِ الإيمانِ وأفضَلَها وأصلَها هو قولُ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ؛ فتَوحيدُ اللهِ عزَّ وجلَّ، والاعترافُ بكَونِه الإلهَ الواحدَ المُدبِّرَ للكونِ المستحِقَّ للعِبادةِ وَحدَه دُونَ ما سِواه، والعملُ بِمُقتَضى ذلك الإيمانِ هو أصلُ الإيمانِ، وهذه الكَلِمةُ العَظيمةُ-لا إلَهَ إلَّا اللهُ-هي كَلمةُ التَّقوى ، وهي العُروَةُ الوُثقى، وهي الفارِقَةُ بينَ الكُفرِ والإسلامِ، وهي التي جَعَلَها إبراهيمُ عليه السَّلامُ كَلِمةً باقيةً في عَقِبِهِ لعلَّهم يَرجِعون، وهي كَلِمةٌ قامَت بها الأرضُ والسَّمواتُ، وخُلِقَت لأجلِها جَميعُ المخلوقاتِ ؛فهي مَنشَأُ الخَلقِ والأمرِ، والثَّوابِ والعِقابِ، وهي حَقُّ اللهِ على جَميعِ العِبادِ، وأنَّ أقلَّ أعمالِ الإيمانِ هو تَنحيةُ الأذَى وإبعادُه عَن طَريقِ النَّاسِ، والمرادُ بالأذى: كلُّ ما يُؤذي المارة؛ من حَجَرٍ، أو شَوكٍ، أو حفرة... وأخبر صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أيضًا أنَّ **الحياءَ خَصلةٌ من خِصالِ الإيمانِ**، وحَقيقةُ الحياءِ: خُلقٌ يَبعَثُ على تَركِ القَبيحِ، ويَمنَعُ من التَّقصيرِ في حَقِّ ذي الحقِّ، والمرادُ به هنا الحَياءُ منَ اللهِ تَعالَى: ألَّا يَراك حيثُ نَهاك، وألَّا يَفقِدَك حيثُ أمَرَك، وهو بهذا المعنى أقوى باعثٍ على الخيرِ، وأعظمُ رادعٍ عنِ الشَّرِّ، وخَصَّه بالذِّكرِ هنا؛ لكَونِه أمرًا خُلُقيًّا ربَّا يَذهَلُ العَقلُ عَن كَونِه من الإيمانِ؛ فدَلَّ على أنَّ الأخلاقَ الحَسنةَ أيضًا من أعمالِ الإيمانِ ودَرَجاتِهِ، فجَمَعَ هذا الحديثُ بين الاعتِقادِ والعَمَلِ والأخلاقِ، وأنَّها كلَّها مُكمِّلاتٌ للإيمانِ، وحَصرُ العَددِ لا يَعني الاقتِصارَ على البِضعِ والسِّتِّين أو البِضعِ والسَّبعين، ولكنَّه يَدُلُّ على كَثرةِ أعمالِ الإيمانِ، وفي الحَديثِ: بَيانُ أهمِّيةِ خُلُقِ الحَياءِ من الله.

خطبة الجمعة - 16 يناير 2026 م